أنماط الاستدلال في القرآن الكريم

أ.د. أبو بكر العزاوي

جامعة السلطان مولاي سليمان

بني ملال، المغرب

الاستلام	٢٠١٨/٥/٢٣	المراجعة	٢٠١٨/٦/٢٧	النشر	٢٠١٨/٨/٣١

الملخص:

لقد اشتمل القرآن الكريم على أنماط عديدة من الاستدلال: القياس الأصولي، القياس المنطقي، قياس التمثيل، قياس الاولى، قياس الخلف وغيرها. واشتمل على الحجاج اللغوي والحجاج البلاغي والحجاج المنطقي. واشتمل على أدلة وحجج أخرى. وكان القصد أن يقتنع الإنسان، كل إنسان، ويؤمن بالواحد الأحد عن اختيار وطواعية واقتناع. قال تعالى: (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا). ولذلك، كان الله عز وجل يحاور الإنسان ويخاطبه ويحاجه بشكل دائم ومستمر، وكان يقدم إليه الدليل تلو الدليل، والحجة بعد الحجة ليقنعه بضرورة عبادة الله الخالق. والقرآن الكريم كله حوارات، صريحة ومضمرة، مباشرة وغير مباشرة. وقد اشتمل على معجم حواري وحجاجي غني وشامل: الحوار، الحجاج، البرهان، الجدال، الشورى، الدليل، الحجة ... ويسعى هذا البحث إلى إبراز بعض أنماط الاستدلال في القرآن الكريم. والله الموفق والهادي إلى الصواب.

الكلمات المفتاحية:

الاستدلال، القياس، الحجاج، الخطاب.

Types de Raisonnements dans le Saint Coran

Prof. Abu Bakr Al-Azzawy

Université Sultan Moulay Slimane

Beni-Mellal, MAROC

Received	23/5/2018	Revised	27/6/2018	Published	31/8/2018

Resume:

On trouve dans le saint Coran plusieurs types de raisonnements: le syllogisme logique, le syllogisme fondamentaliste, le raisonnement analogique, le raisonnement par default, .etc. On trouve aussi l'argumentation linguistique, l'argumentation rhetorique, et plusieurs types d'darguments. La raison est que Dieu veut que l'étre humain soit convaincu, et adore le createur du monde. Dans tout le Coran, Dieu converse avec l'etre humain et dialogue avec lui, et lui presente plusieurs types d'arguments pour le convaincre, et pour qu' il soit croyant fidele.

Mots Clés:

Raisonnements, syllogism, l'argumentation.

مقدمة:

لما كان القرآن الكريم موجها لأفراد البشر كافة، وكان يحاور جميع الفئات، وجميع الأفراد، رجالا ونساء، شبابا وكهولا، مثقفين وغير مثقفين، ملاحدة ومؤمنين، في كل الأزمنة والأمكنة، فقد اشتمل على أنماط عديدة من الاستدلال. اشتمل على القياس بأنواعه المختلفة: القياس الأصولي، القياس المنطقي، قياس الأولى، قياس التمثيل، القياس المضمر... الخ، واشتمل أيضا على الحجاج اللغوي والحجاج البلاغي والحجاج المنطقي. واشتمل، بالإضافة إلى ذلك، على أنماط أخرى من الاستدلال، وفي مقدمتها الأدلة التي تخاطب الفطرة، وتخاطب العقول، ومنها دليل الخلق ودليل العناية، ودليل الهداية وغيرها. وكان القصد أن يقتنع الإنسان ويؤمن بالله الواحد الأحد، وكان بالإمكان أن يؤمن كل أفراد البشر، دون أن تكون لهم حرية الاختيار .. فالله عز وجل، إذا قال للشيء كان فيكون، وهو يقول في محكم كتابه: **(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا)**[1] ولكن اقتضت حكمته تعالى، أن يترك الخيار للإنسان **(فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ)**[2]. ولما كان الأمر كذلك، فإن الله عز وجل كان يحاور الإنسان ويخاطبه، بشكل دائم ومستمر، وكان يقدم إليه الدليل تلو الدليل، والحجة تلو الحجة، ليقتنع الإنسان، ويؤمن عن طواعية واختيار، وبعد اقتناع تام. ولهذا السبب، اشتمل القرآن الكريم على أنماط عديدة ومتنوعة من الاستدلال، واشتمل على عدد كبير من الحجج والأدلة بمختلف أنواعها وأشكالها. والدليل على أهمية الحوار والحجاج والبرهان والجدال والشورى، هو أن هذه الألفاظ والمفردات وردت في القرآن الكريم عدة مرات وبصيغ لغوية مختلفة ومتنوعة. فقد وردت كلمة "الحوار" في ثلاث آيات من القرآن الكريم، وهي[3]:

- **(فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ: أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)**،[الكهف: ٣٤].
- **(قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ: أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ)**، [الكهف:٣٦].
- **(وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا)**، [المجادلة: ١].

ووردت كلمة "الحجاج" في القرآن الكريم عشرين مرة[4]، وبصيغ لغوية وصرفية عديدة ومتنوعة: حجّة، حجّتنا، حجّتهم، حاجّ، حاجّه، حاجّك، حاجّوك، حاججتهم، تحاجّون، يحاجون، يحاجوكم، أتحاجون، أتحاجوني، أتحاجوننا ... الخ، ومن الآيات التي اشتملت عليه كلمة "الحجاج" بمشتقاتها، نجد قوله تعالى[5]:

- **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ)**، [البقرة: ٢٥٨].
- **(وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ، قَالَ: أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ)** [الأنعام: ٨٠].
- **(فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ: أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ)** [آل عمران: ٢٠].
- **(هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ، فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ)** [آل عمران: ٦٦].
- **(لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)** [النساء: ١٦٥].
- **(حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ)** [الشورى: ١٦].

وهناك آيات أخرى لا يسمح المجال لذكرها كلها.

ووردت كلمة "البرهان"، أيضا، في آيات عديدة، ومنها قوله تعالى:

- **(قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [البقرة: ١١١].**
- **(أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) [الأنبياء: ٢٤].**
- **(فَذانِكَ بُرْهانانِ مِنْ رَبِّكَ إِلى فِرْعَوْنَ وَمَلائِهِ) [القصص: ٣٢].**
- **(أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) [النمل: ٦٤].**

وقد حاولنا أن نبين بعض الفروق القائمة بين كلمة "الحجاج" وكلمة "البرهان"، في بحث سابق بعنوان: "**الحجاج والبرهان**"[٦]. ووردت كلمة "الجدل"، التي تعني النقاش والحجاج والسجال والنزاع، ومقابلة الحجة بالحجة، ٢٧ مرة في القرآن الكريم، بما في ذلك الجدل المحمود والجدل المذموم، ونجد هذا في الآيات التالية:

- **(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [النحل: ١٢٥].**
- **(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [العنكبوت: ٤٦].**
- **(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا) [المجادلة: ١].**
- **(وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ) [غافر: ٥].**
- **(الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ) [غافر: ٣٥].**
- **(مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) [الزخرف: ٥٨].**

وهناك آيات أخرى، وهي كثيرة، تدعو إلى التدبر والتفكر والتعقل والنظر والاعتبار، أي تدعو إلى استعمال العقل، وإلى البحث عن الأدلة المقنعة والحجج القوية للاقتناع، ومنها: أفلا يعقلون؟، أفلا يتدبرون؟، أفلا ينظرون؟، قل سيروا في الأرض ثم انظروا، ... الخ.

وهذا كله يؤكد أهمية الحوار والحجاج والإقناع والاستدلال والجدل. ولهذا كان القرآن الكريم بنية حوارية جلية وواضحة[٧]: فقد اشتمل، كما أسلفنا القول، على معجم حواري حجاجي غني: "الحوار، التحاور، المجادلة، الجدال، الجدل، الحجاج، الشورى، التشاور، الدليل، الحجة، الآية، البرهان...".

والقرآن الكريم هو مجموعة من الحوارات الصريحة والمضمرة، المباشرة وغير المباشرة، بين الخالق والمخلوق، بين الله عز وجل والملائكة، بين المؤمنين والكافرين، بين المسلمين وأهل الكتاب، بين المسلمين والمشركين، بين الأنبياء وأقوامهم ... الخ.

وهذه الحوارات قائمة على الحجاج والإقناع والاستدلال بمختلف أنماطه وأنواعه، ثم إن الداعي إليها هو الاختلاف: الاختلاف في الدين والمعتقد، والاختلاف في المصالح والرغبات، واختلاف في اللغات والعقول والأزمنة والأمكنة وغير ذلك. فالله عز وجل خلقنا مختلفين في كل شيء[٨].

ومن هنا العلاقة القائمة بين الاختلاف والحوار والحجاج، والتي عبرنا عنها، بقولة مشهورة، هي كالتالي: "لولا الاختلاف ما كان الحوار، ولولا الحوار ما كان الحجاج، والحجاج يعمل على إنجاح الحوار، وتدبير الاختلاف، ورفع الخلاف"[٩].

ثم إن الداعي إلى هذا أيضا، ما ذكرناه آنفا، وهو أن الله عز وجل أراد أن يترك الخيار للإنسان، فله أن يؤمن أو أن يكفر، لأنه في دار ابتلاء وامتحان واختبار، ولكنه كان يحاوره ويحاجه باستمرار، ويقدم إليه أنواعا من الحجج والأدلة والبراهين ليقتنع بضرورة الإيمان به. والقرآن الكريم، وإن اشتمل على القياس المنطقي والقياس الأصولي وقياس التمثيل وقياس الأولى والحجاج اللغوي والحجاج البلاغي وغيرها من أنماط الاستدلال والحجاج، فإنه ليس كتابا في المنطق، ولا في علم الاستدلال، وليس أيضا كتابا في الفيزياء أو البيولوجيا أو التاريخ أو غيرها من العلوم، لأن الغاية هنا أسمى من كل هذا: الغاية هنا هي هداية البشرية إلى طريق الحق، واشتماله على أنماط عديدة من الاستدلال والقياس والحجاج كان في إطار السياق الذي أوضحناه وبيّناه.

أنماط الاستدلال في القرآن الكريم:

القياس الأصولي: لقد وظف الله تعالى أنواعا من القياس (الأصولي، المنطقي ...) في عدد كبير من الأمكنة والمواضع من القرآن الكريم، لما له من عظيم الفوائد، ولدوره الكبير في الإقناع والحجاج والاستدلال والتأثير، ولمنافعه العظمى في تحقيق الفهم والإفهام والإدراك والاقتناع.

وقد بدأنا بدراسة القياس الأصولي، وهو نمط من أنماط القياس، وينقسم إلى ثلاثة أقسام: قياس العلة، قياس الدلالة، قياس الشبه.

والقياس الأصولي هو مساواة فرع لأصل في علة حكمه. وهذا التعريف لابن الحاجب رحمه الله. ونجد تعريفا قريبا منه عند الآمدي. وقد اشتمل القرآن الكريم على أنواع القياس الأصولي كلها.

النوع الأول: قياس العلة وهو ما جمع فيه بين الأصل والفرع بنفس العلة، قال الآمدي رحمه الله: وإنما سمي قياس علة للتصريح فيه بالعلة، ومن أمثلته قياس النبيذ على الخمر في التحريم بجامع الإسكار في كل منهما. وقد جاء هذا القياس في مواضع عديدة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: **(إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)**[١٠] وقد حلل هذه الآية ابن قيم الجوزية فقال: "أخبر الله تعالى أن عيسى نظير آدم في التكوين بجامع ما يشتركان فيه من المعنى الذي تعلق به وجود سائر المخلوقات، وهو مجيئها طوعا لمشيئته وتكوينه، فكيف يستنكر وجود عيسى من غير أب من يقر بوجود آدم من غير أب ولا أم؟ ووجود حواء من غير أم؟ فآدم وعيسى نظيران يجمعهما المعنى الذي يصح تعليق الإيجاد والخلق به"[١١]. ونجد أيضا قياس العلة في قوله تعالى: **(أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ، وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا، وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ، وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ)**[١٢]. لقد ذكر الله عز وجل وجه إهلاك الأمم السابقة، وبيّن العلة، وهي ذنوبهم، فهم الأصل، والأمم الظالمة التي جاءت من بعد هي الفرع، والذنوب هي العلة الجامعة، والهلاك هو الحكم. ومعلوم أن أركان القياس أربعة: الأصل والفرع والعلة والحكم.

وفي هذه الآية يتجلى لنا بوضوح، توظيف القياس الأصولي، وبالضبط قياس العلة، وهو، حسب تعريفنا السابق، ما جمع فيه بين الأصل والفرع بنفس العلة.

ونجد أيضا قياس العلة في قوله تعالى: **(قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)**[١٣]. وتفسير هذه الآية، حسب ابن القيم، هو على الشكل التالي: قد كان من قبلكم أمم أمثالكم فانظروا إلى عواقبهم السيئة، واعلموا أن سبب ذلك هو تكذيبهم لآيات الله ورسله، وهم الأصل، وأنتم الفرع، والعلة الجامعة التكذيب، والحكم الهلاك والبوار[١٤].

ونجده كذلك في قوله تعالى: **(كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا، فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ، فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ، كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ، وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا، أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)**. فالله سبحانه وتعالى ألحق المتأخرين بالسابقين في الوعيد، وسوى بينهم كما تاسووا في الأعمال. وإذا كان السابقون أشد منهم قوة، وأكثر أموالا وأولادا، فهذا فرق غير مؤثر. ولقد علّق الله سبحانه وتعالى الحكم بالعلة الجامعة، والوصف الجامع المؤثر، وألغى الوصف الفارق، ثم إنه نبّه على أن مشاركتهم في الأفعال والأعمال، اقتضت مشاركتهم في الجزاء، أي في الحكم، فقال تعالى: **(فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا)**، فهذا هو الوصف الجامع، وهذه هي العلة المؤثرة، وقوله عز وجل: **(أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)** هو الحكم، والسابقون هم الأصل، والمخاطبون هم الفرع[١٥].

فالأصل والفرع قد تساويا في المعني الذي علق به العقاب والعذاب، وقد تم تأكيد قياس العلة هنا بقياس الأولى، وهو شدة القوة، وكثرة الأموال والأولاد.

ونجد قياس العلة أيضا في قوله تعالى: **(إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ، كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا، فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا)**. فمن عصى الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم سيكون مآله ما وقع للذين كذبوا موسى وعصوه، فالأصل هم الذين كذبوا موسى، والفرع هم من عصى الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم، والعلة هي العصيان، والحكم هو الهلاك، ونجد هذا القياس في آيات كثيرة.

ب-قياس الدلالة: إذا كان قياس العلة هو ما جمع فيه بين الأصل والفرع بنفس العلة، فإن قياس الدلالة هو ما جمع فيه بين الأصل والفرع بلازم العلة، أو أثرها، أو حكمها. وهناك من عرّفه بقوله: هو الجمع بين الأصل والفرع بدليل العلة وملزومها.

ونجد قياس الدلالة في آيات كثيرة، ومنها قوله تعالى: **(وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشُرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ)**[١٦]. فهذه الآية، اشتملت على قياس الدلالة، والجمع بين الأصل والفرع فيها تم بواسطة لازم العلة، وتحليل هذه الآية الكريمة، حسب ابن القيم[١٧]، هو كالتالي: لقد أخبر الله عز وجل أنهما إحياءان، وأن أحدهما معتبر بالآخر مقيس عليه، قياسا أصوليا عقليا.

ثم ذكر سبحانه وتعالى قياسا آخر في هذه الآية، وهو أن من الأرض ما يكون أرضا طيبة، فإذا أنزلنا عليها الماء أعشبت، وأخرجت نباتها بإذن ربها، ومنها ما تكون أرضا خبيئة لا تخرج نباتها إلا نكدا، أي لا تخرج إلا نباتا قليلا لا ينتفع به، فشبه الله عز وجل الوحي الذي أنزله من السماء على القلوب بالماء الذي أنزله على الأرض بحصول الحياة بهذا وهذا، أي بالوحي والماء، وشبه القلوب بالأرض إذ هي محل الأفعال والأعمال والسلوك، كما أن الأرض محل النبات، فالقلوب التي آمنت بالوحي، وعملت بما جاء فيه، وانتفعت به، فهي كالأرض الطيبة التي نزل عليها المطر، فأخرجت النبات الكثير والنافع، الذي ينفع البلاد والعباد، وينفع سائر المخلوقات، أما القلوب التي لم تؤمن بالوحي، ولم تنتفع به، وبفوائده في مجالات الحياة المختلفة والمتنوعة، فهي مثل الأرض التي لا تستفيد من المطر، ولا تنتفع به، ولا تخرج نباتها، أو أنها لا تخرج نباتا قليلا لا ينتفع به، كما قال عز وجل: **(وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا)** ونلاحظ، في هذه الآية، التوظيف الجيد لقياس الدلالة، وتم الجمع بين الأصل والفرع بأثر العلة، ويمكن أن نرسم هذا القياس على هذا الشكل:

الماء = الوحي

الأرض = القلوب

النبات = الأعمال

الانتفاع = الانتفاع

ونجد قياس الدلالة أيضا في قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا)**[١٨] فالله عز وجل يقول لمنكري البعث: إن كنتم ترتابون وتشكون في البعث، فإنكم لا ترتابون في النشأة الأولى، ولا ترتابون في أنكم مخلوقون، ولا ترتابون في مبدأ خلقكم من حال إلى حال، إلى حين الموت، والبعث هو النشأة

الثانية، وهو نظير النشأة الأولى، فكيف تقبلون النشأة الأولى وتنكرون النشأة الثانية؟ وهما، كما يقول ابن القيم، نظيران في الإمكان والوقوع والإيجاد[١٩]. فإعادتكم بعد الموت خلقا جديدا مثله مثل النشأة الأولى (أي الخلق الأول) التي لا تشكون ولا ترتابون فيها، فكيف تنكرون إحدى النشأتين (أي البعث)، مع مشاهدتكم لنظيرتها، أي النشأة الأولى؟ كيف تنكرون هذه وتقبلون تلك؟. ويقضي المنطق، وأيضا القياس، (وهنا قياس الدلالة)، أن من يقبل إحدى النشأتين، ويُسلم بوقوعها وحدوثها، ولا يرتاب فيها، أن يقبل ويسلم بإمكان وقوع النشأة الأخرى، لأنهما نظيران في الإمكان والوقوع، والثانية معتبرة بالأولى، ومقيسة عليها، بل نجد، في هذه الآية، قياسا آخر، وهو قياس الأولى. إذا سلمت بالنشأة الأولى، أي الخلق الأول، وهو خلق من عدم، وجب التسليم بإمكان وقوع النشأة الثانية، وهي البعث، وهو ليس خلقا من عدم، وهذا من باب أولى وأحرى، وبعبارة أخرى: كيف تقبل حصول الخلق الأول، وهو خلق من عدم، ولا تقبل حصول البعث الذي ليس خلقا من عدم، وإنما هو بعث ونشور، وكان الأولى بك أن تنكر النشأة الأولى. نلاحظ إذن أن هذه الآية اشتملت على قياسين: قياس الدلالة وقياس الأولى.

ونجد هذا القياس (أي قياس الدلالة) أيضا بشكل أقوى وأوضح، في قوله تعالى: **(أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ)**[٢٠]، فالله عز وجل ينبههم إلى أنهم لو تفكروا وتدبروا وتأملوا، واستخدموا عقولهم، لوجدوا أنه لا فرق بين النشأة الأولى والنشأة الثانية فيما يتعلق بمسألة القدرة على الخلق والإيجاد. فقد دلّهم بالنشأة الأولى على إمكان وقوع النشأة الثانية. والمسألة فيها حجاج ومنطق وقياس واستدلال، ووقوع النشأة الأولى دليل وحجة على إمكان حصول النشأة الثانية، وينبغي أن نقيس هذه على تلك والأولى أصل والثانية فرع، والأولى خلق من عدم والثانية بعث ونشور، وكان الأولى، حسب قياس الأولى، أن تنكروا النشأة الأولى، لا الثانية. فأما أن تنكروا النشأتين ويكون موقفكم منسجما، أو تسلموا بهما معا، وإلا كان موقفكم مختلا، وكان متعارضا مع أبسط قواعد المنطق والاستدلال. ثم إنك، إن كنت منكرا ومرتابا في إحدى النشأتين، فكن مرتابا في النشأة الأولى، والخلق الأول، وليس النشأة الثانية، وهذا يفرضه قياس الأولى.

وقد جمع الله سبحانه وتعالى بين النشأتين في قوله: **(وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى)**[٢١].

ونجد قياس الدلالة في آيات كثيرة، وفي مواضع عديدة من القرآن الكريم، وخاصة التي تعرضت لمسألة البعث والنشور.

<u>قياس الشبه</u>: وهو قياس تردد فيه الفرع بين أصلين لوجود علتهما فيه. وقد ورد، هو الآخر، في القرآن الكريم. ونجده في قوله تعالى: **(إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ)**[٢٢] وهذه الآية وردت في سورة يوسف، وفي معرض الحديث عن يوسف وإخوته، لما أخبروا أن صواع الملك، وجد في رحل بنيامين، الأخ الشقيق ليوسف، وهو ما أكدته الآية: **(فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ)**، قالوا: **(إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ)** فتم هنا توظيف قياس الشبه، وهذا القياس هو إلحاق فرع بأصل، لكثرة شبهه للأصل في الأوصاف، من غير أن يعتقد أن الأوصاف التي شابه الفرع فيها الأصل علة حكم الأصل، ففي الآية السابقة لم يُجمع بين الأصل والفرع بعلة ولا دليلها، وإنما ألحق أحدهما بالآخر من غير دليل جامع، أي جمع بينهما بمجرد الشبه الجامع فقاسوا بنيامين على يوسف، واعتبر ابن القيم هذا القياس فاسدا في تحليله للآية: "هذا مقيس على أخيه، بينهما شبه من وجوه عديدة، وذاك قد سرق فكذلك هذا، وهذا هو الجمع بالشبه الفارغ، والقياس بالصورة المجردة عن العلة المقتضية للتساوي، وهو قياس فاسد، والتساوي في قرابة الأخوة ليس بعلة للتساوي في السرقة لو كانت حقا، ولا دليل على التساوي فيها؛ فيكون الجمع لنوع شبه خال عن العلة ودليلها"[٢٣].

ونجد هذا القياس في آيات أخرى، ومنها قوله تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا؟ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا؟ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا؟)**[٢٤]، وأيضا قوله تعالى: **(إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ)**[٢٥].

ويذهب ابن القيم إلى أن هذا القياس لا يأتي غالبا في القرآن الكريم إلا مذموما مردودا، وقد تبين لنا، مما سبق، أن كل أنواع القياس الأصولي (علة، دلالة، شبه) وردت في القرآن الكريم، وبشكل كبير، وننتقل إلى نمط آخر من القياس.

القياس المنطقي: وهو استنتاج قضية من قضيتين أو أكثر، ويندرج في الاستدلال غير المباشر، وبعبارة أخرى: هو قول مؤلف من قولين فأكثر، متى سلم بها، لزم عنها لذاتها قول آخر، وينقسم إلى أنواع عديدة: القياس الحملي، القياس الشرطي، القياس الحملي الشرطي، القياس المضمر، قياس التمثيل، قياس الإحراج، القياس المركب ... الخ.

وقد وجدنا العديد من أنواع القياس المنطقي في القرآن الكريم، ومنها القياس الحملي، والقياس المضمر أو الإضماري، وقياس الخلف، وقياس التمثيل، والقياس الحملي الشرطي وغيرها.

ومن الآيات التي نود الاستشهاد بها هنا هي قوله تعالى: **(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا)**[٢٦]، وهذه الآية نجد فيها أكثر من قياس، وأكثر من دليل. فقد اشتملت على القياس الحملي الشرطي، وهو قياس مكون من مقدمة شرطية ومقدمة حملية، تستنتج منهما نتيجة حملية، وله ضربان صحيحان منتجان هما الوضع (Modus ponens) والرفع (Modus tollens)، ولو طبقنا قاعدة أو قانون الوضع على هذه الآية، لأصبحت على الشكل التالي:

- لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا.
- لكن فسدتا

- إذن فيهما آلهة

وهذا غير صحيح، وغير واقع، فليس هناك فساد في السماوات والأرض، وهذا هو ما اعتمده القرآن الكريم لينفي تعدد الآلهة، وبالتالي فهناك إله واحد خالق لهذا الكون. ولذلك فإن قاعدة الرفع، (والرفع معناهُ النفي، والوضع معناهُ الإثبات) هي الواردة في هذا السياق، وهي صورتها كالتالي:

- لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا
- لكن لم تفسدا

- إذن ليس فيهما آلهة

ونصوغها بهذه الطريقة (إذا أ، فإن ب، لكن لا – ب، إذن لا - أ). فالقرآن الكريم وظّف القياس الحملي الشرطي في هذه الآية، وبالضبط الضرب الذي يسمى الرفع، لينفي تعدد الآلهة، وليدافع عن الوحدانية، ولو كان هناك آلهة في السماوات والأرض، لأدى هذا إلى التنازع والصراع، ولكانت النتيجة هي الخلل في نظام الكون، والفساد في الأرض والسماء. وهذا غير واقع وغير حاصل، ويدرك بالمشاهدة والتجربة. والمقدمة الأولى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) شرطية وصريحة، والمقدمة الثانية حملية ومضمرة، والنتيجة أيضا حملية ومضمرة. وبعبارة أخرى، ليس هناك فساد في السماوات والأرض ⟵إذن ليس هناك تعدد في الآلهة ⟵ إذن هناك إله واحد هو الله.

فهذه الآية اشتملت على القياس الحملي والشرطي، لأن المقدمة الأولى شرطية، والمقدمة الثانية والنتيجة حمليتان. وهذا القياس هو ما سمّاهُ علماء الكلام بدليل التمانع أو الممانعة، فملا امتنع فساد السماوات والأرض، امتنع تعدد الآلهة، ولما امتنع تعدد الآلهة، فهناك إله واحد هو الله الخالق ولقد ذكر السيوطي، في كتابه "الإتقان" في معرض تحليل هذه الآية، أنها استدلال على أن صانع العالم واحد بدليل التمانع[٢٧].

وأغلب الذين درسوا الجدل في القرآن الكريم، وحللوا هذه الآية، يشيرون إلى أنها اشتملت على قياس الخلف، وهذا القياس يقوم على البرهنة على صدق المطلوب بإثبات كذب نقيضه. ويلجأ إليه علماء الرياضيات بكثرة، وخاصة عندما يتعذر علينا إثبات صدق المطلوب بشكل مباشر، فنقوم بالبرهنة على كذب نقيض المطلوب، وفي ذلك إثبات لصدق المطلوب بشكل غير مباشر. فهذه الآية اشتملت إذن، على القياس الحملي الشرطي، وقياس الخلف، ودليل التمانع.

ويمكن أن نقول إنها اشتملت على شيء من القياس المضمر أو الإضماري. فقد أضمرت المقدمة الثانية والنتيجة. ومعلوم أن القياس المضمر هو قياس حملي، يتكون من قضايا حملية إثباتية، وليس من قضايا شرطية، وهو قياس حذفت فيه إحدى المقدمتين أو النتيجة. وذكر علي بن علي بن أبي العز الحنفي، صاحب شرح العقيدة الطحاوية ما يلي: "إن الطريقة الفصيحة في البيان أن تحذف إحدى المقدمات، وهي طريقة القرآن"[٢٨].

ونجد هذا القياس في آيات أخرى، ومنها قوله تعالى: **(لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا)**[٢٩]. فلو كان هناك تعدد في الآلهة لوقع النزاع والصراع، ولما كان هناك اتفاق بينهم، لأن كل إله يريد الهيمنة والاستئثار بالملك، والسيطرة المطلقة، والانفراد بالحكم والتسيير، فيقع التنازع والصراع، وامتناع الاتفاق يقتضي امتناع تعدد الآلهة، وامتناع التعدد يقتضي الوحدانية. فهذه الآية، والتي قبلها، فيها دليل التمانع وقياس الخلف، والقياس الحملي الشرطي، وهذا الأخير، يمكن أن نصوغه كما يلي:

- لو كان معه آلهة يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا.
- لكن لم يبتغوا إلى ذي العرش سبيلا.

- إذن ليس معه آلهة.

ويمكن أن نصوغه بشكل آخر، فنقول:

- إذا أ، فإن ب.
- لكن لا – ب.

- إذن لا - أ

وهو قانون منطقي. وكل الآيات التي تبدأ بأداة الشرط "لو"، تتضمن هذا النمط من القياس. ونجد هذا القياس أيضا في قوله تعالى: **(قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا)**[٣٠]. وهناك أمثلة أخرى، ونكتفي بما أوردناه.

ونجد القياس الحملي في قوله تعالى: **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)**[٣١].

وقد اشتمل الجزء الأول من هذه الآية على قياس حملي، نبيّنه كما يلي:

- الذي يحي ويميت هو الإله.
- ربي يحي ويميت.
- إذن ربي هو الإله

ولما ادّعى النمرود أنه أيضا يحي ويميت، وبالتالي فهو إله، فقد لجأ إبراهيم عليه السلام إلى حجة أخرى، ودليل أقوى وأوضح من الدليل السابق فقال: **(فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ)**. وهذا الدليل هو قياس حملي مضمر، نصوغه على الشكل التالي:

- كل من يقدر على إطلاع الشمس فهو إله.
- إلهي قادر على إطلاع الشمس
- إذن إلهي هو الإله.

وكان هذا الدليل أقوى وأعظم، وأفحم به إبراهيم عليه السلام النمرود، فبهت وعجز عن الجواب. وقد أثنى الله تعالى عليه، فقال: **(وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ)**[٣٢].

والقياس الحملي هو الذي سماه القدماء بالقياس الاقتراني. والمثالان السابقان هما من الشكل الأول من أشكال القياس الحملي، ونجد شكلا آخر من أشكال القياس الحملي، في قوله تعالى: **(فَلَمَّا جَنَّ عَلَيهِ اللَّيل رَأَى كوكَباً. قَالَ هَذَا رَبِّي، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ: لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ)**[٣٣]. وصورة هذا القياس كما يلي:

- الإله ليس بآفل.
- الكوكب آفل.
- إذن الكوكب ليس بإله.

وهذا القياس أيضا هو قياس حملي أو مضمر، لأنه حذفت منه بعض القضايا، والقرآن مبناه على الحذف والإيجاز كما قال الإمام الغزالي. ونقول نحن: إن الخطاب الطبيعي برمته، مبني على الإضمار والحذف والإيجاز.

ونجد هذا القياس أيضا في قوله تعالى: **(قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ)**[٣٤]. وصورة هذا القياس كالتالي:

- كل ولي يتمنى لقاء ربه.
- اليهودي لا يتمنى لقاء ربه.
- إذن اليهودي ليس بولي الله.

وقد حلّل الإمام الغزالي هذه الآية بشكل جيد، فقال عن اليهود لما ادعوا أنهم أولياء الله: "وذلك أنهم ادعوا الولاية، وكان من المعلوم أن الولي يتمنى لقاء وليه، وكان من المعلوم أنهم لا يتمنون الموت الذي هو سبب اللقاء، فلزم ضرورة أنهم ليسوا أولياء الله. وكمال صورة الميزان أنه يقال: كل ولي يتمنى لقاء وليه، واليهودي ليس يتمنى لقاء الله، فلزم منه أنه ليس بولي الله"[٣٥].

ونجد شكلا ثالثا من أشكال القياس الحملي الاقتراني في قوله تعالى: **(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ، قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ)**[٣٦]. وصورة القياس كالتالي:

- موسى بشر.
- موسى أنزل عليه الكتاب.
- إذن بعض البشر أنزل عليه الكتاب.

فإذا كان اليهود يسلمون بالمقدمتين: الأولى والثانية، فلزم التسليم بالنتيجة حتما وعقلا، لأنها تستنتج بالضرورة من هاتين المقدمتين، وهم يسلمون بالمقدمتين. فكون موسى بشرا: هذا معلوم بالحس، وأما أنه أنزل عليه الكتاب، فهم يعترفون به، فلزم التسليم بأن بعض البشر أنزل عليه الكتاب، وهذا ينفي ويبطل زعمهم: **(مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ)**.

وإلى جانب القياس الحملي الاقتراني، نجد القياس الشرطي بنوعيه: المتصل والمنفصل في القرآن الكريم. نجد القياس الشرطي المتصل في قوله تعالى: **(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا)**. وقد حللناه آنفا بكثير من التفصيل. ونجده أيضا في قوله تعالى: **(لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا)**[٣٧]. ونحن نقول إنهما تضمنا القياس الحملي الشرطي، والإمام الغزالي يشير إلى أنهما اشتملا على القياس الشرطي المتصل. أما القياس الشرطي المنفصل، فنجده في الآية التالية: **(قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، قُلِ اللَّهُ، وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ)**[٣٨].

ونجد أنواعا أخرى من القياس في القرآن الكريم. نجد قياس التمثيل وقياس الخلف وقياس الأولى.

وبالنسبة للتمثيل (Analogie)، أو قياس التمثيل، فهو موجود في كل الخطابات الطبيعية. ويدل مصطلح التمثيل على التشابه بين شيئين (أو مجموعتين من الأشياء) في صفات أو علاقات معينة. وقياس التمثيل يعد أحد أقدم أنواع القياسات والاستدلالات المميزة للتفكير البشري منذ المراحل الأولى من تطوره[٣٩].

والتمثيل له جوانب حجاجية ومنطقية عديدة، ونتحدث عن قياس التمثيل، بصفته قياسا منطقيا للإشارة إلى الجوانب المنطقية للتمثيل. وإذا كان التماثل ينقسم إلى نوعين: تماثل الصفات وتماثل العلاقات، فإن القياسات التمثيلية، تنقسم إلى ثلاثة أقسام، تبعا لدرجة يقينية النتيجة: أ- التمثيل القوي وهو الذي يعطي نتيجة يقينية. ب- التمثيل غير القوي، ويعطي نتيجة احتمالية، جـ- التمثيل الكاذب ويعطي نتيجة كاذبة[٤٠].

وكثير من العلماء، كانوا يدرجون التمثيل الذي نجده في القرآن الكريم، ضمن القياس المنطقي، وهو ما يؤكده ابن تيمية بقوله: "ضربَ الأمثال، وصَرَّفَها في الأنواع المختلفة، كلها أقيسة عقلية، ينبه بها [الله] عباده على أن حكم الشيء هو حكم مثله"[٤١]. ونجد التمثيل، حجاجا أو قياسا منطقيا، في آيات عديدة، ومن ذلك قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ. إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ. وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)**[٤٢]. ونجده في قوله تعالى: **(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ، وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ. نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ. وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)**[٤٣].

والتمثيل الموجود، في هاتين الآيتين، وآيات كثيرة، هو من النمط الأول، أي التمثيل الذي يقوم على تماثل الصفات، وهو تمثيل ينطلق مما هو محسوس وملموس، ويربطه بما هو مجرد ومعنوي، والوظيفة حجاجية إقناعية استدلالية. ونجده كذلك في قوله عز وجل: **(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا. وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)**[٤٤].

ووظائف التمثيل عديدة ومتنوعة، ترتبط بالتوضيح والكشف وتقريب المعنى من جهة، وترتبط بالحجاج والإقناع والاستدلال من جهة أخرى.

ونجد قياس الأولى في القرآن الكريم بشكل كبير جدا، وقياس الأولى هو أن يكون الغائب أولى بالحكم من الشاهد. وقد كان السلف يسلكه اتباعا للقرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: **(إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)**[٤٥]. وقد اشتملت هذه الآية على قياس التمثيل وقياس الأولى. ويتجلى قياس الأولى فيما يلي: قاس القدرة على خلق عيسى على القدرة على خلق آدم، لأن من كان قادرا على الخلق من غير أب ولا أم، أي آدم، فهو قادر على الخلق من غير أب، (أي عيسى)، من باب أولى، وهذا هو قياس الأولى، يقول الإمام ابن تيمية: "شبهه الله بخلق آدم الذي هو أعجب من خلق المسيح، فإذا كان سبحانه قادرا على أن يخلقه من تراب، والتراب ليس من جنس بدن الإنسان، أفلا يقدر أن يخلقه من امرأة هي من جنس بدن الإنسان؟"[٤٦]. فالله عز وجل قاس القدرة على الخلق الأيسر والأسهل على القدرة على الخلق الأعظم، فمن كان قادرا على الأعظم، فهو قادر على الأيسر، ونجد هذا القياس أيضا في قوله تعالى: **(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ. قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ. وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ. أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ؟ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ)**[٤٧]. وقد اشتملت هذه الآيات على أمثلة عديدة لقياس الأولى[٤٨].

وهناك أنواع أخرى من القياس لا يتسع الوقت لدراستها.

٣- الحجاج اللغوي:

تنطلق نظرية الحجاج في اللغة، من مسلمة مفادها: "أننا نتكلم عادة بقصد التأثير"، ومن أن اللغة الطبيعية، تحمل، بصفة ذاتية وجوهرية، وظيفة حجاجية. وهذه الوظيفة مؤشر لها في بنية اللغة، وفي كل الظواهر الصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية والبلاغية[٤٩]. والحجاج اللغوي موجود في كل أنماط الخطاب وأنواع النصوص، ولكن مظاهر الحجاج وطبيعته ودرجته تختلف من نص لنص، ومن خطاب لخطاب[٥٠]. والقرآن الكريم، بالإضافة إلى اشتماله على أنماط عديدة من القياس: الأصولي، المنطقي، وغيرهما، فهو يشتمل على الحجاج اللغوي والحجاج البلاغي وغيرهما من أنماط الحجاج. ولقد درسنا الحجاج اللغوي، في عدد من النصوص والسور القرآنية[٥١]. فإذا أخذنا سورة "الأعلى"، فإننا نجدها تبدأ بالآية (**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**). وهذه الآية هي النتيجة التي يهدف الله عز وجل بصفته المتكلم إلى إقناع المخاطب ودفعه إلى العمل بها. ويقضي المنطق والحجاج، أن يرفق ذكر النتيجة بذكر الحجج والأدلة التي تخدمها وتؤدي إليها، ولذلك أورد الله تعالى مجموعة من الحجج مباشرة بعد الآية الأولى، وهي الآيات الموالية:

- الأعلى.
- الذي خلق فسوى.
- الذي قدر فهدى.
- الذي أخرج المرعى.

فلما خاطب الله عز وجل الإنسان قائلا: **(سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ)**، فسيطرح الإنسان بدوره السؤال، ويقول: (ولماذا؟). فيقول الحق سبحانه، في سياق الحجاج والإقناع والاستدلال: (لأنه: الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، وأخرج المرعى، ... إلخ). ومن كان هو الخالق الرازق القادر، فهو الإله حقا، وهو المستحق للعبادة والتسبيح.

وفي المناظرات القرآنية، نجد أمثلة عديدة للحجاج اللغوي (وحتى البلاغي). ففي قوله تعالى: **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ. قَالَ: أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ. قَالَ إِبْرَاهِيمُ: فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ، فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ، فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ)**[٥٢].

والحجاج هو تقديم مجموعة من الأدلة التي تخدم نتيجة معينة، وهو فعالية تداولية جدلية، وهو الاستدلال الخاص باللغات الطبيعية، والآيات القرآنية التي نجد فيها الحجاج اللغوي، وأيضا الحجاج البلاغي كثيرة ومتنوعة.

لقد سعينا، في هذا البحث، إلى إبراز بعض أنماط الاستدلال في القرآن الكريم، بشكل موجز ومختصر، ونأمل أن نوسع الكلام في هذا الموضوع في القادم من الأيام.

والله الموفق إلى الصواب

الهوامش:

١ - سورة يونس، الآية: ٩٩.
٢ - سورة الكهف، الآية: ٢٩.
٣ - أنظر كتاب (حوار حول الحجاج)، ص: ٨٥.
٤ - المرجع السابق.
٥ - نفسه.
٦ - مجلة "روابط"، العدد: ١، ٢٠١٨، الجزائر.
٧ - حوار حول الحجاج، ص: ٧٠.
٨ - نفسه، الفصل الثالث.
٩ - نفسه، ص: ٧٩.
١٠ - سورة آل عمران، الآية: ٥٨.
١١ - إعلام الموقعين، ج١، ص: ١٣٤.
١٢ - سورة المؤمنون، الآية: ٤٢-٤٣.
١٣ - سورة. آل عمران، الآية: ١٣٧.
١٤ - إعلام الموقعين.
١٥ - نفسه.
١٦ - سورة الأعراف، ص: ٥٦/٥٧.
١٧ - إعلام الموقعين، ص: ١٤٠.
١٨ - سورة الحج، الآية: ٥.
١٩ - إعلام الموقعين، ص: ١٤٠.
٢٠ - سورة الواقعة، الآية: ٦١-٦٥.
٢١ - سورة النجم، الآية: ٤٤-٤٦.
٢٢ - سورة يوسف، الآية: ٧٧.
٢٣ - إعلام الموقعين، ص: ١٤٨.
٢٤ - سورة الأعراف، الآية: ١٩٥.
٢٥ - سورة إبراهيم، الآية: ١٤.
٢٦ - سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.
٢٧ - الإتقان في علوم القرآن.
٢٨ - شرح العقيدة الطحاوية، ص: ٢٣.
٢٩ - سورة الإسراء، الآية: ٤٢.
٣٠ - سورة الإسراء، الآية: ٩٥.
٣١ - سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.
٣٢ - سورة الأنعام، الآية: ٨٤.
٣٣ - سورة الأنعام، الآية: ٧٨.

٣٤ - سورة الجمعة، الآية: ٦/٧.
٣٥ - القسطاس المستقيم، ص: ٣٠.
٣٦ - سورة الأنعام، الآية: ٩٢.
٣٧ - سورة الأنبياء، الآية: ٩٨.
٣٨ - سورة سبأ، الآية: ٢٤.
٣٩ - كتاب "علم المنطق": غيتمانوفا ألكسندرا، ص: ٢٥٩.
٤٠ - نفسه، ص: ٢٦١.
٤١ - إعلام الموقعين، ص: ١٣٠.
٤٢ - سورة الحج، الآية: ٧١.
٤٣ - سورة النور، الآية: ٣٥.
٤٤ - سورة العنكبوت، الآية: ٤١.
٤٥ - سورة آل عمران، الآية: ٥٨.
٤٦ - ابن تيمية، الجواب الصحيح، ٥٥/٤.
٤٧ - سورة يس، الآية: ٧٦-٨٠.
٤٨ - يرجع إلى مقالاتي المنشورة بمجلة "طنجة الأدبية"، وهي حلقات بعنوان "الاستدلال والحجاج في القرآن الكريم"، من العدد: ٥٩ إلى ٦٧، ٢٠١٦-٢٠١٧.
٤٩ - أنظر كتاب "اللغة والحجاج" للمؤلف، ص: ١٤.
٥٠ - الخطاب والحجاج، للمؤلف، ص: ١٢.
٥١ -المرجع السابق: الفصل الأول بعنوان: "الحجاج في الخطاب القرآني: سورة الأعلى نموذجا"، وأيضا المقال: "الحجاج والانسجام في القرآن الكريم: خواتيم سورة البقرة نموذجا"، مجلة "البلاغة وتحليل الخطاب"، العدد: ٥، بني ملال، ٢٠١٤.
٥٢ - سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

فهرس المراجع:

- أرسطو: الخطابة، ترجمة بدوي عبد الرحمان، بغداد، ١٩٨٦.
- الحنفي ابن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق.
- السيوطي جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن.
- العزاوي أبو بكر: اللغة والحجاج، الأحمدية للنشر، البيضاء، ٢٠٠٦.
- العزاوي أبو بكر: الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب، ط:٢، بيروت ٢٠١٠.
- العزاوي أبو بكر: حوار حول الحجاج، الأحمدية، البيضاء، ٢٠١٠.
- العزاوي أبو بكر: اللغة والمنطق، طوب بريس الرباط، ٢٠١٤.
- العزاوي أبو بكر: الحجاج والانسجام في القرآن الكريم، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، العدد: ٥، ٢٠١٤، بني ملال.
- العزاوي أبو بكر: "البنية الحجاجية للقرآن الكريم"، مجلة المشكاة، العدد: ١٩، وجدة.
- العزاوي أبو بكر: "الحجاج في اللغة والبلاغة"، مجلة فصول، القاهرة، العدد: ١٠١، ٢٠١٨.
- العزاوي أبو بكر: "الحجاج والبرهان"، مجلة روابط، العدد: ١، ٢٠١٨، الجزائر.
- غيتمانوفا ألكسندرا: علم المنطق، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٩.
- الغزالي أبو حامد: القسطاس المستقيم، المطبعة العلمية، دمشق، ١٩٩٣.
- ابن القيم الجوزية: إعلام الموقعين، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٧٨.